لا شك ، أن مستوى اللغة هذا ، يبارح عالم الاسطورة الاول ، ويصل الى ضفاف مقال سياسي مباشر ٠

لقد كان بامكان الكاتب ان يصل مستوى البطل الملحمي بمستوى البطل الاشكالي عن طريق **وسيط أدبي** ، راو جديد متمايز ، أو حامل ادبي يصل بين المستويين دون ان يصل بهما الى هذا التمازج المستحيل ٠

٢ ــ ابو جابر الخليلي : منطق الواقع ومنطق « الاديب »

في قصة « ابو جابر » يرسم لنا توفيق فياض ، وبموهبة فنية حقيقية ، صورة انسان فلسطيني « عادي » في زمن الاحتلال ٠ صورة انسان عادي ، واضح السمات والمعالم ، حي في سلوكه ، متكامل في خصائصه وممارسته ، بحيث يمكن ان نقول ان خصائص هذه الشخصية هي خصائص الاسلوب الذي رسمها ٠ فهي نتاج عمل فني صادق ، حي ومتكامل٠ أسلوب يأخذ قيمته الفنية من قدرته على النقاط العادي ورصده وتجسيده بشكل صادق وصحيح ٠

« ابو جابر » انسان بسيط يمارس حياة بسيطة ومحدودة ، عالمه بيته ورغيفه وزوجته ٠ عالم ضيق وفقير يركض ابو جابر في فضائه باحثا أبدا عن الرغيف و « ستر الحال » : « وهكذا ظل أبو جابر راضيا بمهنته هذه ، ويحمد الله عند طلوعها ومغيبها ، على رضاه ونعمته » ص ٤٩ ٠ وامام اتساع عالم الرغيف وضيقه ، تراجع عالم « ابو جابر » ، وتضاءلت اهتماماته ، وكيف لا وهو الذي يسلم باستمرار بـ « المثل القائل » : « اللي بتجوز أمي هو عمي » ٠ يترك العالم جانبا وينسحب الى مملكته الفقيرة ، فسيان عنده ان « حكمها الملك حسين او موشي ديان » ص ٥٧ ٠ يقود « ابو جابر » حياته او تقوده حياته في فراغ بارد الدلالات ، ضيق الجدران ، بطيء الحركة : «يتلفع معطفه الزيتي الثقيل ذي الازرار النحاسية المخضرة ، والتي لا تزال تحمل التاج البريطاني منذ عهد الامبراطورية الزائلة » ص ٤٧ ٠ انسان قروي ، بسيط ، في الثانية والخمسين من عمره ، يحمل وعيا بسيطا قليل الحركة ، ويرزح تحت عبء هموم كبيرة لحياة صغيرة ٠ و « صغر » هذه الحياة وفقرها جعله يراوح بالضرورة في حدود وعي محدود ، وعي القرية وأخلاقيات القرية التي تطرد العالم الخارجي جانبا وتدفع الانسان الى التحصن وراء حدود « ذاته » و « فرديته » ، وتجعل الانسان يسير بشكل أفقي بحثا وراء الرغيف وحماية الملكة الفردية ، وتجعله يسير أيضا حسب منطق ايديولوجيا أخلاقية ــ دينيه (القناعة ــ الشرف ــ الدين) ٠ واذا نظرنا الى مسار « أبو جابر » ، الفلاح ــ الفلسطيني ، نلمس في البدء الفردية التي انتجتها الايديولوجيا الفلاحية ، ثم نلمس فيما بعد تحصن هذه الفردية وتمركزها الناتجة عن مجتمع القمع والعسف الذي عاش فيه بعد خروجه من فلسطين ٠ وعندما تتمازج الايديولوجيا الفلاحية مع الاثر الناتج عن مجتمع القمع يصبح الفرد ذرة وجزيرة مهجورة ، وتضبح السياسة ــ بالضرورة ــ دعارة وشرا وجسما موبوءا ينبغي تجنبه والحذر منه : « قال أبو جابر شتم الملك قال ! اي هو ابو جابر عمره شتم حدا ، ان كان ملك وللا زبال ؟ وللا عمره تعاطى السياسة وتخرف فيها ٠ ص ــ ٥٠ ــ » ، « لم يتعاط في حياته كلها ، لا سياسة ولا خساسة » ص ٥١ ٠ وقبل أن يطلع الفجر وهو لا سيرة له ولا شاغل الا الدعارة والسياسة » ص ٦٤ ٠ يكره ابو جابر ، اذن ، السياسة ويرى فيها امتدادا للدعاة وخروجا على العرف ، أنها المنكر والضلال ٠ ولما كان ينأى عن